المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

محددات التصور الديني عن الآخر عند البيروني

الباحثة: نسيبة الطيب بومعراف

الباحثة: سارة صبحي مصطفى

كلية الشريعة – جامعة قطر

E-mail:n_boumaraf@hotmail.com **E-mail:** Sm1509321@qu.edu.qa

ملخص

يستهدف هذا البحث المعنون بـ "محددات التصور الديني عن الآخر عند البيروني"، السؤال عن العوامل التي شكلت تصور البيروني عن الآخر الهندي، ويجملها في ثلاثة محددات، الأولى نفسية، والثانية علمية، والثالثة عملية، وذلك من خلال كتابه الشهير تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لنبين كيف درس أديان الهند، وما أدواته وآلياته وكيف أثرت هذه المحددات على دراسته في تحقيق التعارف والتعايش. ويخلص البحث إلى أن هناك محددات ساهمت في تبلور تصوره الموضوعي عن الآخر، وتتمثل المحددات النفسية في الانفتاح والتسامح، تحري الصدق، والتفهم واستيعاب الاختلاف. وتتمثل المحددات العلمية في تعدد المناهج في دراسة أديان الهند، والعودة إلى المصادر الأساسية، إلى جانب امتلاك اللغة، أما في المحددات العملية، فهي المعاينة والمعايشة والتفاعل.

الكلمات المفتاحية: الآخر، التصور، البيروني، أديان الهند، التعايش، الحوار، التفاعل.

Abstract

This research, entitled "Determinants of Al-Biruni's Religious Perception of the Other", aims to ask about the factors that formed Al-Biruni's perception of the Indian Other, and summarizes them in three determinants. The first psychological,

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

the second scientific, and the third practical, through his famous book "Investigating about Indian utterance Acceptance in the mind or rejection, to show how he studied the Indian religions, what his tools and mechanisms were, and how these determinants affected his study in investigating acquaintance and coexistence. The research concludes that there are determinants that contributed to the formation of his objective perception of the other. these psychological determinants shows clearly in openness, tolerance, insisting on honesty, understanding and the absorption of difference. The scientific determinants are represented in the multiplicity of approaches to the study of the religions of India, the return to the basic sources, as well as the possession of the language, while the practical determinants are observation, coexistence and interaction.

Keywords: the other, perception, al-Biruni, India's religions, coexistence, dialogue, interaction.

مقدمة

يحتل موضوع التصورات الدينية عن الآخر مكانةً كبيرة عند الباحثين على المستوى النظري، وتزداد أهميته على المستوى العملي خصوصًا مع الانفتاح الإنساني الذي ساهمت العولمة في توسيع نطاقه، فلم يعد الفرد يتعامل مع الآخر المماثل فقط، بل فرض عليه الواقع التعامل مع الآخر المغاير أيضًا.

ولا يمكن الحديث عن أشكال التعامل مع الآخر وموقفنا منه دون المرور على قضية التصور نفسها التي تعد ركنا أساسيا في تشكيل موقفنا من الآخر، فالسلوكيات فرع عن تصورات كامنة عن الآخر وتجسيدٌ لها كما هو معروف في علم الاجتماع.

ومن ثم، وانطلاقا من النموذج البيروني الذي يعد نموذجا فارقا في الإنصاف والموضوعية، والمعايشة، يدرس هذا البحث محددات التصور الديني للآخر عند البيروني من خلال رحلته إلى الهند والموثقة في كتابه "**تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**"، فيطرح سؤال: ما هي العوامل التي ساهمت في

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

تشكيل تصور البيروني عن الآخر الهندي؟ وذلك للمساهمة في تقديم نموذج محددات إسلامي يمكن المساهمة به في تعزيز رؤى التعايش والتعارف الإنساني.

وللإجابة عن هذا السؤال، سينتج البحث المنهج الوصفي، والاستقرائي والتحليلي في تحليل نصوص كتاب البيروني سالف الذكر، واستقراء المحددات التي يدور حولها موضوع البحث. وسيعرف البحث المصطلحات الأساسية في التمهيد، ثم يقسم البحث إلى ثلاثة مطالب، يتناول المطلب الأول المحددات النفسية، وفي المطلب الثاني المحددات العملية، أما المطلب الثالث والأخير فيبحث المحددات العملية.

مصطلحات البحث:

أولا: التصورات: يعرف الجرجاني التصور بأنه "حصول صورة الشيء في العقل" كما يعرفه عند المناطقة على أنه "إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات" (الجرجاني، د.ن، ص٥٣)، ويعد التصور أحد المفاهيم الأساسية في علم المنطق والذي يأتي كقسيم للتصديق فهناك تصور وهناك تصديق، ويعرف التصور بأنه إدراك القضايا وفهمها، أو الإدراك بلا حكم، أو إدراك المفرد.

وإذا اعتبرنا التصور إجابة عن سؤال كيف نفهم فإن هذا البحث يريد أن يبحث عن محددات ذلك الفهم التي فهمه البيروني للآخر.

ثانيًا: الآخر: الآخر في لسان العرب لابن منظور هو "اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر أويخر، وقوله تعالى "فآخران يقومان مقامهما" فسره الفراء فقال: معناه آخران من غير دينكم من النصارى واليهود، والجمع بالواو والنون، وأخريان وأخر. وحكي بعضهم: أبعد الله الآخر، ويقال: لا مرحبا بالآخر أي بالأبعد"(ابن منظور، د.ن، ص١٣) والآخر في منجد اللغة والأدب والعلوم بمعنى "غير، وجمع أخر وأخريات" (معلوف، د.ن، ص٥٠) أما رشيد مسعود فيعرف الآخر في الموسوعة الفلسفية العربية على أنه المختلف أو المغاير أو المتباين أو المتميز، وهو يتعارض مع فكرة المماثل أو المماهي، أي أن الآخر ليس المشابه. (زيادة، ١٩٨٦، ص١٣).

والديني في مصطلح "الآخر الديني" قيد احترازي يخرج ما عدا الديني، ونقصد بالآخر الديني الغير أو الآخر المختلف دينيا، والديني قيد احترازي يخرج ما عدا الديني كالاجتماعي والسياسي والثقافي. ونقصد بمحددات التصور الآخر أي العوامل التي ساهمت في تشكيل التصورات عند البيروني.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

وتجدر الإشارة قبل الحديث عن المحددات أن نقدم نبذة عن كتابه الذي ألفه إبان مكوثه في الهند برفقة السلطان محمود الغزنوي، فقد أتيحت للبيروني فرصة التعرف على الهند ودراستها وتعلم لغاتها ومحاورة أناسها، لهذا نتج كتابه هذا "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، وتذكر بعض المصادر أن البيروني كان قد قطع وعدا لمحمود الغزنوي أن يؤلف كتابا شاملا عن بلاد الهند وأحوال أهلها، فوفى بوعده وكان هذا الكتاب (الجندي، ٢٠٠٧م، ص ٢٩٢)

وفرغ البيروني من كتابة الكتاب في محرم من عام ٤٢٣هـ / ١٠٣١ م، وهو في عمر الثامنة والخمسين، وحول أهمية هذا الكتاب كتب إدوارد سخاو –المستشرق الألماني– الذي حقق كتاب البيروني في أواخر القرن الماضي، أنه ضم وافر المعلومات التي جهلها المسلمون أثناء عصر البيروني، وجهلها الأوروبيون في العصور الحديثة (الجندي، ٢٠٠٧م، مرجع سابق، ص٢٩٢).

ويقع الكتاب في ٧٠٠ صفحة تقريبا، وكان البيروني قد كتبه على دفعات حتى أتم كتابته كاملا في بلدة غزنة (الجندي، ٢٠٠٧م، مرجع سابق، ص ٢٩٢)، وهو كتاب "قريب من أدب الرحلة والجغرافيا والتاريخ ويتقاطع مع كتب الفرق والملل وينزع نحو مجال تأريخ العلوم ودراسة الألسن والأساطير وهذا يعني أن كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) تقاطع بين أجناس معرفية مختلفة واستحضار لروافد فكرية متعددة" (مبارك، ص ٣١٤).

ويعد الكثير مما حواه هذا الكتاب جديدا ليس فقط على الحضارة الإسلامية، بل الحضارة الأوروبية أيضا في عصوره الحديثة، وقد سبق البيروني في وصف الهند ميغاستين السفير الإغريقي، وحاجان بوذيان، الأول بعثه سلوكس الأول عام ٣٩٥ ق.م إلى مؤسسة دولة الموريا بعد ذهاب الإسكندر عن الهند، والآخران قدما الهند في القرنين الخامس والسابع الميلاديين، ويفرّق الباحثين بين دراسة البيروني للهند ودراسة من قبله لها في أن البيروني لم يدرس فقط طبيعتها وأحوال سكانها، إنما لغتها وآدابها، وعاداتها وتقاليدها، لهذا يقرر الأستاذ بيلر أن ما كتبه هؤلاء لا يقارن بكتاب البيروني، وهو أشبه بما يكتب للصغار (الساداتي، ١٩٦٥م، ص ١٣١).

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

المطلب الأول: المحددات النفسية:

إن تفاني البيروني في جمع البيانات المباشرة إلى جانب التزامه بالدقة والحياد الفكري، يضعه في صدارة مجال الدراسات الدينية في عصره، بل لقد أصبح أسلوبه في جمع البيانات حجر الزاوية في الدراسات الأنثروبولوجية في وقت مبكر. وقد حفزه غياب كتابات جيدة عن الهند في عصره، وافتقادها الدقة، إلى الكتابة بأكبر قدر من الدقة. (Senin, et l. 2019, p6) وبلا شك هذا التفاني يكشف عن محددات نفسية كامنة في شخص البيروني تجعله يحقق الموضوعية، ومن هذه المحددات:

أولا: الانفتاح والتسامح

لقد أبدى البيروني انفتاحا تجاه الثقافات المختلفة، جعله يعمد إلى الحوار معها لا الجدل، وهذا الذي خطه في نهاية مقدمته إذ أكد أن كتابه هذا ليس كتاب حجاج وجدل حتى يقوم "بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق" (البيروني، ١٩٨٣م، ص ١٥-١٦).

ولا شك أن الحجاج والجدل فيه من الأفكار والاهداف المسبقة ما يمنع الباحث عن النظر للموضوع بحياد خالٍ من الأحكام، فالمجادل يهتم بنقض كلام خصمه مهما تطلب الأمر، ولا يريد الوصول إلى الحقيقة بالضرورة، بينما البيروني يريد أن يصل لحقيقة ما عليه أهل الهند، فحدد كتابه بأنه "هو كتاب حكاية فأورِدُ كلام الهند على وجهه" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٦) أي كما هو.

ويمكن القول إن تجربته في مرافقته وتعلمه على يد معلمين من مختلف الأعراق والديانات، شكّلت درسا رفع من وعيه الحضاري وانفتاحه، على رأسهم معلمه أبا سهل عيسى بن يحيى المسيحي وقد كتب ابن أبي أصيبعة في طبقاته أنه سمع من الإمام الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي " لم أجد أحدا من الأطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين أفصح عبارة ولا أجود لفظا ولا أحسن معنى من كلام أبي سهل المسيحي" (ابن أبي أصيبعة، ٤٣٦)، وتعلم أيضا على يد عالم الرياضيات أبو نصر بن علي بن عراق، والمحدث أبو علي الحسن بن علي الجبلي. (الساداتي، ١٩٦٥، مرجع سابق، ص ١٢٧).

ثانيا: تحري الصدق

يتسم البيروني بالصدق، وقد انعكس ذلك في تحريه الصدق عبر منهجه الذي عمد إليه في تعامله مع الخبر، فقد حدد أولوية النص باعتباره مصدرا من مصادر الأخبار من خلال ما كتبه في المقدمة حيث قال "والكتابة

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

نوع من أنواعه يكاد أن يكون أشرف من غيره، فمن أين لنا العلم بأخبار الأمم لولا خوالد آثار القلم؟ " (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٣)، فالنصوص تكاد تكون أشرف المصادر التي تمكن الدارس من معرفة الآخر الحضاري، لذلك نجد البيروني يرجع إلى الكتب في كثير من مادته حول الهند. ولا تتساوى المعلومة من مصدر مكتوب مع المصدر المسموع لذلك يقول "وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم في هذا الباب" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٤٠) وفي سياق حديثه عن أصولهم المدخلية في أحكام النجوم، ذكر بأنه لم يتطرق للحديث عن المذنبات إلا بعد الاستيعاب التام لما في كتبهم عنها. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٤٩٣).

وقد تحدث البيروني عما سماه حلاوة الصدق إذ يقول "وكما أن العدل في الطباع مرضي محبوب لذاته مرغوب في حسنه كذلك الصدق إلا عند من لم يذق حلاوته أو عرفه وتحاماه" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٤) وتشير خاتمة البيروني إلى أن تحريه الصدق قائم على دواعي عقدية ابتغاء مرضاة الله كما نراه يطلب توفيقه في هذه المهمة إذ يقول "فلنقطع الكلام الذي أملّ بطوله وعرضه، ونستغفر الله في الحكايات إلا عن حق، ونستوفقه للاعتصام بما يرضيه، ونسترشده إلى الوقوف على الباطل لنتّقيه إن الخير من عنده، وهو الرؤوف بعبيده". (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٥٠٣) وقد علق (Ahsanul Hadi) على ذلك بأنه فيه اعتراف أننا كبشر ننظر إلى العالم من منظار المجتمع والثقافة التي ننتمي لها. (Ahsanul, 2015, p8).

وتأمل البيروني في مقدمته، الآفات المؤثرة على موضوعية الخبر وموضوعيته فلم يحصرها في سبب واحد بل تفهم اختلاف الطبائع وتعدد الدوافع التي قد ينتج عنها ورود كذب في الخبر، ويورد هذه الأسباب كالآتي:

- الكذب من أجل تعظيم نفس الناقل أو جنسه أو أصحاب ملته، وهذا من دواعي الشهوة والغضب المذمومين.
- الكذب من أجل طبقة يحبهم أو يبغضهم وهو من دواعي المحبة والغلبة.
- الكذب بسبب طباع في النفس جبل عليها الشخص وذلك من دواعي الشرارة والخبث.
- الكذب اتقاء شرٍ، أو للتقرب من خيرٍ وهو من دواعي دناءة الطبع

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

- الكذب جهلا ومن دواعيه تقليد المخبرين والنقل عنهم فيكون هو وهو "وسائط فيما بين السامع وبين المتعمد الأول" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٤).

ويكشف البيروني هنا عن فهم عظيم للدواعي النفسية الكامنة وراء كل احتمال أو حالة من الكذب، ويستوعب الصورة الكبرى التي توجد فيها فيقول إنها عائدة "لتفاوت الهمم وغلبة الهراش والنزاع على الأمم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٣)، فهو قد كان في عصر شهدت الأمم انفتاحا على بعضها البعض، وخاصة الأمة الإسلامية التي كانت قد توسعت وقد طرقت أبواب الحضارات الأخرى للتعرف عليها، وهو نفسه كان يحيط به أشخاص من مختلف الخلفيات الثقافية والدينية والقومية.

ويمتد تحري الصدق عند البيروني إلى الآخرين كمصدر للمعرفة، فهو يتحرى الصادقين لينقل عنهم، وفي حديثه عن أحد أخبار البحار والأنهار، قرر أن ذلك الحديث ليس ممتنع ولا مستبدع مادام صدر عن طرف أمين، وثقة وممعن في أسفار البحر. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٧٧).

وهذا مثال على قبوله الخبر لصدق صاحبه، وعلى الجانب الآخر لا يعتد بالخبر إذا ما صدر ممن هو متساهل في النقل، كحالة أهل الهند "ولولا أن الهند في أمر الترتيب متساهلون وعن نظام تواريخ الملوك في التوالي متغافلون وإلى التجازف عند الحيرة والضرورة ملتجئون لأوردنا ما ذكره قوم منهم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٣١٧).

وبالعودة إلى تمثل البيروني للصدق، ومحاولة تثبته من المعلومة، يلاحظ أنه لا ينقل خبرا إلا عن شخص شاهد وعاين الشيء حتى يكون للمنقول وزن، ففي الباب الذي يتحدث عن معارف أهل الهند وبحارهم وأنهارهم، حكى عن حيوان مائي دقيق وطويل جدا يسمى "تندوه" وقال" وسمعت بعضهم يحكي عن المشاهدة أن له رأسا كرأس كلب وذنبا ذا شعب كثيرة طويلة" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٤٥) فنجده يقيد النقل عن الخبر بقيد المشاهدة، وشتان بين الخبر المنقول عن عيان والخبر المنقول بدون عيان.

ومن صور التثبت من المعلومة، دقة البيروني في توضيح مصادر المعلومات التي يكتبها، فمرة يكتب أنه سمعها من فلان، ومرة يقول إنه شاهدها، وتارة يوضح أنه سمعها، وأخرى أنه قرأها من كتاب. ويبلغ التثبت عنده مبلغا عظيما حينما تأتي في كتابه نصوص يكتب فيها أنه يظن ويرجح، ليبين أنه معتمد في ذكره

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

للمعلومة على ظنه فيها لا متيقن منها، مثل ما كتبه في "شاكور" أو "ششمار" الحيوان الذي تصوره الهند على هيئة حيوان مائي ذي أربع أرجل.

وأحيانا، يعترف بأنه لم يحصل له العلم الكافي لأن يعترف بامتلاكه ما يصلح للتعريف في هذا الفن أو ذاك (مثل حديثه عن الأوزان الشعرية) ويضيف: "إلا أني مع ذلك أبذل فيه جهد المقل" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٠٢).

ثالثا: التفهم واستيعاب الاختلاف

يلاحظ المتأمل لكتاب البيروني أنه يهتم في بحث العقائد والعادات بسؤال لماذا أكثر من سؤال ماذا، ففي فصل أفرده بعنوان في الأيام المعظمة والأوقات المسعودة ذكر سبب تعظيم الهنود بعض الأيام قائلا: "الأيام تتفاضل في التعظيم بسبب صفات تتضاف إليها كالأحد فإنه عند الهند بسبب الشمس وبسبب ابتداء الأسبوع فيه" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٤٥١) وفي حديثه عن إطلاقهم عدة تسميات على شيء واحد، نجده يبرر الاختلاف فيقول "فربما أحمل ذلك الاختلاف على سعة اللغة فإنهم يسمون الشيء الواحد بأسماء كثيرة جدا" من ذلك الشمس التي سموها بألف اسم وهم يشبهون في ذلك العرب في كثرة أسماء الأسد، وأضاف البيروني تفسيرا قائما على تفرس الشخصية الهندية إذ تحدث عن تبجحهم بتلك الكثرة وعاب ذلك عليهم لأنه عدها من أعظم معايب اللغة. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٦٥) وفي موضع آخر أكد على أن الهند يقصدون استعمال الاشتقاقات وتكثير الأسامي على الشيء الواحد بل ويعدونها مفخرة (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٢٢٣) كأن السبب نفسي وليس اللغة، وكان الانسان هو من صنع هذه اللغة. وفي موطن آخر يتحدث عن نفس الفكرة وأنهم لا يستثقلون كثرة العدد بل ويتبجحون بذلك، إلا أنهم يضطرون إلى تقليلها أثناء الاستخدام (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٣١٢).

كما نجد البيروني يستفتح الفصول بالحديث عن الطبيعة الإنسانية، مثل حديثه عن أن النفس تواقة إلى كل أمر منظّم وتشمئز عما لا نظام له، وذلك في معترض حديثه عن كتبهم المنظومة التي يقصدون من خلالها سهولة استرجاعها دونما حاجة إلى العودة إلى الكتب، ويفضلونها على المنثور وإن سهل (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٩٦). وبين كذلك في تفسيره ترك الناس الكتاب الحق وتوجههم إلى الخرافات، أن "قلوب العامة إلى الخرافات أميل فتشوشت الأخبار لذلك" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٩٦) وفي

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

موضع آخر "وليس للعقل في هذا مدخل ولا أعرف للاختلاف سببا سوى التجازف في التعديد كيف اتفق .." (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٧٣).

علاوة على إبداء البيروني استيعابا للاختلاف ظهر في تقريره أن أهل الهند لديهم ما يخالف رسوم أهل بلادنا تصل إلى أننا قد نعدها أعجوبة (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٢٩) وعدد منها كثيرا من السلوكيات نذكر منها عدم حلقهم الشعر، وأصلهم العري لشدة الحر، وتحمير الأسنان وغير ذلك. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٢٩)، وكشف البيروني عن قدرة واسعة على الاستيعاب ورد الأفعال إلى سببها العائد للطبيعة الإنسانية إذ قال إنه من المعلوم أن "غرابة الشيء تكون لعزة وجوده وقلة الاعتياد في مشاهدته" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٢٩).

ويبدي سعة في الاستيعاب كبيرة أيضا في معرض حديثه عن غريب العادات مثل طوي الثياب مقلوبة وفرش الفرش معكوسة بما فيه انعكاس "ولست أفرد الهند بالتوبيخ على الجاهلية، فقد كان العرب في مثلها يرتكبون العظائم والفضائح من نكاح الحيض والحبالى واجتماع النفر على إتيان امرأة واحدة في الطهر الواحد وادعاء الأدعياء وأولاد الأضياف ووأد الابنة.." (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٣٢).

وجدير بالذكر بعد المحددات النفسية السابقة، أن الموضوع النفسي لا يتوقف فقط عند حدود الشخصية البيرونية اللاواعية، بل هي حاضرة أيضا في وعيه بالشخصية الهندية، والإنسانية بشكل عام، نجد ذلك حاضرا في تفسيره موقفهم من الآخر على أنه "مليج" وهو القذر الذي "لا يستجيزون مخالطته، في مناكحة ومقاربة أو مجالسة ومؤاكلة ومشاربة من جهة النجاسة، ويستقذرون ما تصرف على مائه وناره وعليهما مدار المعاش " (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٨) ويقف وراء هذه الرؤية للآخر عند الهند، إلى شيء في طباعهم، من ذلك "أنهم يعتقدون في الأرض أنها أرضهم وفي الناس أنهم جنسهم وفي الملوك أنهم رؤساؤهم وفي الدين أنه حل تهم وفي العلم أنه ما معهم فيترف عون ويتبرمون ويعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضن بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيره، على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم، وفي الناس غير سكانها وأن للخلق غيرهم علما حتى أنهم إن حُدِثوا بعلم أو عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخبر ولم يصدقوه للآفة المذكورة " (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٢٠) ولهذا يوصيهم البيروني "ولو أنهم سافروا وخالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم" (البيروني، ص٢٠)، وهذا الحضور للبعد النفسي في كتاب البيروني، قمينٌ بأن يلقى عناية أكبر من الباحثين.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

المطلب الثاني: المحددات العلمية

لا تخلو دراسة البيروني لأهل الهند من محددات علمية أفضت إلى تصوره الموضوعي عن الآخر الهندي، ومنها:

أولا: تعدد المناهج في دراسة أديان الهند وتشمل:

١- **المنهج التاريخي:** يدرس هذا المنهج الأحداث التاريخية، ويصفها ويحللها وفق أسس منهجية، من أجل فهم الظاهرة على ضوء الماضي. ويقوم ذلك على جمع المادة العلمية التاريخية من مصادرها الأولية والثانوية إضافة إلى فحصها بدقة ونقدها، ثم عرض النتائج وتفسيرها.

من مواضع ذلك ما حكاه البيروني من أمر اليونانيين أيام الجاهلية، وقبل ظهور النصرانية، إذ كانوا مشتركين مع أهل الهند في العقيدة، فالخواص في كل قوم هم نفسهم في قوم آخر، كلهم يجنحون إلى النظر والبحث، أما عوامهم في كل قوم هم نفسهم في آخر، يعمدون إلى عبادة الأصنام (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٢١). كما عاد للتاريخ أيضا في مطلع حديثه عن (حق الميت في جسده والأحياء في أجسادهم)، ففي الأزمنة الأولى كانت الأجساد تلقى في الصحاري والجبال، تجسيدا لنية دفعها إلى السماء، ويخرج إليها المرضى أيضا فإن تشافوا عادوا إلى منازلهم، وإلا فمصيرهم كمصير الأموات. وقد تطور الأمر عبر السنين فتركت أجسادهم للريح، إلى أن رسم لهم "تاراين" أن يدفعوها إلى النار، واستمر الأمر على ذلك فأصبحوا يحرقونها فتتلاشى مع الحرق كل رائحة أو عفونة. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٤٣٧).

٢- **المنهج المقارن:** عمد البيروني إلى استخدام المنهج المقارن الذي يبين أوجه الاختلاف والتشابه بين ظاهرتين أو أكثر، وبرز هذا المنهج في عدة مواطن، أهمها في مقدمته التي أبان فيها عن كبير تشابه بين الهند واليونان، وأوضح أنه سيعمد إلى إيراد كلام الهند على وجهه ثم يضيف إليه " ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٦).

وقد التزم بهذا الخط في ذكر أحوال الهند وإيراد التشابه أو الاختلاف مع ثقافة وأحوال اليونان متى استدعى الحال ذلك، فعندما تحدث عن أسماء الكواكب والنجوم والبروج ومنازل القمر وأمثال ذلك عند اليهود، أورد كلام براهم في كتاب المواليد الكبير، في صورة البرج الحادي عشر بأنه جرّة، وعلق البيروني قائلا " وإنما

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

تعديدهم إياه أو بعضه في صور الناس دليل على أنهم يذهبون فيه مذهب اليونانيين من الرجل الساكب للماء". (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٥٨).

كما قارب بين الحال الهندي واليوناني عند حديثه عن برهماند، التي تعني بيضة براهم، وتشير عند البعض إلى الأرض التي خلقها الله تعالى لبراهم قائلا: "إني خالق بيضة أفعلها لسكناك فيه" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٦٠) ويشير البيروني أن اليونانيين يذهبون إلى ما هو قريب من هذا القول في "اسقلبيوس" المستنبط لصناعة الطب" فإنهم على ما ذكر جالينوس إذا صوره وضعوا في يده بيضة لتكون إشارة إلى كرية العالم ومثال الكل، وإن العالم كله محتاج إلى الطب" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٦٠)

كما يورد في مواضع أخرى مقارنة ذكر فيها صورة السماء والأرض في الهند، إذ ينقل عن رسالة أرسطوطالس إلى الاسكندر قوله إن "الأرض محصورة بالماء والماء بالهواء والهواء بالنار والنار بالأثير" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٦٠). ويقرر أن محل الآلهة هنا هي البلدة العليا، والسفلى هي محل الدواب المائية، ثم يورد ما يشبهه من كلام الهند عبر كتاباتهم (باج بران) قائلا:" وفي باج بران ما يشبهه وهو أن الأرض يمسكها الماء والماء يمسكه النار المحض، والنار يمسكها الريح والريح يمسكها السماء والسماء يمسكها ربها". وهو حين ذكر هذا التشابه في القول في السماوات لم يغفل أوجه الاختلاف الموجود وهي أنها خالفت في الترتيب فقط.

٣- **المنهج الظاهراتي:** ويطلق عليه أيضا المنهج الفيمونولوجي، ويقصد به تعليق الحكم، ويستلزم محو أي قصد أو نية مسبقة اتجاه الآخر قد توجه الدراسة نحو ما يخدم النية –التي تنحو نحو الهوى– لا ما يخدم العلم والمنهج العلمي الموضوعي. وقد كتب البيروني في مقدمته ما يعكس هذا الاهتمام، فوافق استقباح أبي سهل عبد المنعم بن علي ابن نوح التفليسي لمن حكى عن المعتزلة قاصدا الازدراء عليهم، بمجرد أنهم خصومه، فعلق البيروني بالقول "فأعلمتُه–أي أبا سهل– أن هذه طريقة –أي قصد الازدراء على أحدهم– قلّ ما يخلوا منها من يقصد الحكاية عن المخالفين والخصوم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٤–١٥).

وقد أعرض البيروني عن الحكم على ما لا علم له به إذ يقول في معرض الحديث عن عبادة اليونان للأصنام "فلا علم لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٨٧).

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

وعطفا على ما سبق من المناهج، يُستنتج أنها مناهج تحقق في مجملها **المنهج التكاملي** الذي يرى الظاهرة من جميع أبعادها، ومحاولا تحقيق أكبر فهم للظاهرة، ولعل هذا كان مطلبا عند البيروني فهو عندما أعرب أنه سيرد كلام أهل الهند على وجهه، قرر إضافة ما لليونانيين أيضا لما فيه من تشابه مع أهل الهند خاصة على مستوى العوام بين الهنود واليونانيين، كما أورد كلام غيرهم من الصوفية والنصارى واستفاد من اشتراك كلامهم حول الاتحاد والحلول وتقارب أقوالهم فيها، ويعني هذا فهما لأبعاد التأثر والتأثير الموجودين في الحضارة الهندية، فلا يقف عند الحضارة الهندية فقط بل يتجاوزه إلى كل ما له تأثير عليها، ويوسع دائرة الفهم أكثر.

ثانيا: العودة إلى المصادر الأساسية:

لا يرجع البيروني إلى أي كتاب يقع بين يديه، بل يقيد الأمر في الكتب الأولية للحضارة المراد دراستها، فهو أولا يعود إلى الكتب التي كتبها أهل الهند وثانيا: يقيد المسألة أكثر فينتقي من أمهات الكتب الهندية، فهو القائل: "ولنورد في ذلك شيئا من كتبهم لئلا يكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٢٣) وهذا يفسر لماذا تعد الكتابة عنده أشرف من الخبر والعيان، إذ إن النقل عنها يعني النقل عما هو موضع اتفاق بين أهل الهند وأدعى للتثبت المعرفي والموضوعية.

وعاد البيروني إلى كتابي سانك وبياتنجل، كما عاد إلى غيرهما مثل كتاب بيذ الذي يقول عنه إنه كلام نسبه الهنود إلى الله تعالى من فم "براهم" ويقوم البراهمة بتلاوته وتعلمه فيما بينهم دون فهم تفسيره، ولا يفهم تفسيره إلا قلة، وينظر في معانيه ويتصرف في تأويلاته قلة قليلة على وجه النظر والجدل. ويفسر "بيذ" بأنه العلم لما ليس بمعلوم، ويتضمن بيذ مسائل الترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، الأوامر والنواهي، ومعظم مادته عن قرابين النار بأنواعه، والتسابيح. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٨٨).

وفي حديثه عن أصناف الشهور والسنين عند أهل الهند، وعاداتهم في استفتاح الشهور الشمسية والقمرية، تحدث عن الافتتاح بالاستقبال وقال بأنه سمع براهمر يفعلها لكنه لم يتحقق من كتبه بعد، ويبدو أن الذي حال دون تحققه كون الكتاب منهي عنه. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٢٦٢).

ويبلغ الرجوع إلى كتب الحضارة المراد دراستها، مبلغا من الأهميةً تجعل البيروني يذم أصحاب ملّته، فهم كتبوا في النجوم دون أن يعودوا إلى كتبهم ولهذا يقول البيروني " إن أصحابنا في هذه الديار لم يعهدوا طرق

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

الهند في أحكام النجوم بل لم يقفوا قط على كتاب لهم فيها، فلذلك يظنون بهم الموافقة ويحكون عنهم حكايات ما وجدنا عندهم منها شيئا". (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٤٧٣).

وتتضح مكانة الأخذ عن المصادر الأولية عند البيروني فيما يحكيه عما رواه أبو بكر بن زكريا الرازي حول ماني، ولحرصه على التثبت من كلامه ظل يبحث عن كتاب الرازي زمنا غير يسير قارب الأربعين عاما، حتى وجده فأعلن "أن الرازي قد خدع بما اطلع عليه وأنه هو نفسه ليس بخادع". (الساداتي، ١٩٦٥، مرجع سابق، ص١٢٨) ويحكي عن ذلك في كتاب آخر فيقول :" ذلك أني طالعت كتابه –أي الرازي– في العلم الإلهي وهو يبادئ فيه بالدلالة على كتب ماني وخاصة كتابه الموسوم بسفر الأسرار... فحرضتني الحداثة بل خفاء الحقيقة على طلب تلك الأسرار من معارفي في البلدان والأقطار، وبقيت في تباريح الشوق نيفا وأربعين سنة إلى أن قصدني بخوارزم بجند من همذان متوسل بكتب وجدها... وفيها مصحف قد اشتمل من كتب المانوية ... ومن جملتها طلبي سفر الأسرار فغشيني له من الفرح ما يغشى الظمآن من رؤية الشراب ... ثم اختصرت ما في السفر من الهذيان البحث والهجر المحض ليطالعها مأووف بآفتي وسيعجل الشفاء منها، فهذه حال أبي بكر الرازي ولست أعتقد فيه مخادعة بل انخداعا لما يعتقده هو فيمن نزههم الله عن ذلك ولم يبخس حظه فيما رامه فالأعمال بالنيات وكفى بنفسه يومئذ عليه حسيبا". (الساداتي، ١٩٦٥، مرجع سابق، ص١٢٨–١٢٩).

وأفصح البيروني عن معرفة بالكتب الأصلية ليس فقط الهندية، بل حتى التوراة (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ٣١) والقرآن، والإنجيل.

ثالثا: امتلاك اللغة

إن أحد الأمور التي تعين على فهم الآخر وتكوين صورة معمقة عنه وصحيحة، هو امتلاك لغتهم، لأن اختلاف اللغة يقع به سوء الفهم الذي يخل بصحة التصور، "فلكي تنفذ إلى أي دين يجب أن تقرأ مقدساته وتعاليمه باللغة الأصلية لهذا الدين" كما يقول بيومي (بيومي، ص٣٤)، ونظرا لذلك لم يتوان البيروني عن تعلم لغاتهم فقد تعلم اللغة السنسكريتية، لغتهم القديمة، مما مكنه من قراءة كتبهم وفهمها، والتواصل مع أهلها.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

كما تعلم اللغة اليونانية وعاد إلى جملة من كتبهم، ويضم كتابه مصطلحات الهند واليونان وبلغاتهم، ويلتزم البيروني ذكرها مرة واحدة كحد أدنى وعلى وجه التعريف، ثم يحوله إلى العربية بعد الإشارة إلى معناه ويستخدم لفظها المعرّب إلا إن كان استعماله بالهندية أخف نطقا واستعمالا فإنه يفضله على غيره من الألفاظ.

ويظهر البيروني معرفة عالية باللغات الأخرى كالفارسية، فقد حكى عن "ششمار" نقلا عن كتاب المسالك للجيهاني، وبين وجه المشابهة بين اللفظ الهندي "ششمار" واللفظ الفارسي "سُسمار " (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ١٧٧)، الأمر الذي دعاه إلى الاعتقاد بأن هذا الحيوان هو الضب الكبير فهو في الفارسية يعني سسمار. وإن كانت معرفة اللغات الأخرى مما يرفع الدارس درجة فإن استيعابه للألفاظ المتشابهة من مختلف اللغات واستحضارها والمقاربة بينها هو ما يرفعه درجات في سلم المعرفة، وقد نجح البيروني في حصاد هذه الدرجة وبرع فيها.

وقد بدأ البيروني تعلم اللغات منذ سن صغيرة لأن اللغة بالنسبة له كانت من العناصر اللازمة في الدراسة المقارنة. مكنه هذا من كتابة ١٨٠ كتابا باللغتين العربية والفارسية لم ينج منهم إلا القليل (Ahsanul, 2015, p3)

المطلب الثالث: المحددات العملية

تتمثل المحددات العملية في ثلاثة عناصر، أولها المعاينة ثم المعايشة وأخيرا التفاعل. والفرق بين المعاينة والمعايشة أن الأولى فيها رصد للموضوع المدروس بينما المعايشة فيها رصد وخوضُ في الواقع، ونحسب أن هذا ما يطلق عليه في العلوم الاجتماعية بالملاحظة المشاركة والملاحظة غير المشاركة، وتشير الأولى إلى المعايشة، والثانية تشير إلى المعاينة، وليس الفصل بينهما إلا فصل تقني، لأنهما لم ينفصلا في التجربة البيرونية.

أولا: المعاينة:

تعبر المعاينة عن الحضور المباشر في المجتمع أو الحضارة، وفيها ملاحظة لأفرادها وأفكارهم وسلوكياتهم. إن منهج البيروني في (تحقيق ما للهند) قد شهد تطورا بالمقارنة مع كتابه السابق (الآثار الباقية للقرون السابقة) من حيث الاهتمام بالمعاينة، ففي الآثار الباقية كان يولي أهمية بما كتبه السلف حول الشعوب

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

وتقاليدهم وأحوالهم لكنه في كتابه (تحقيق ما للهند) يحدد مكانة كبيرة للمعاينة في معرفة الشعوب، ويكفي دليلا أنه قد خاض غمار هذه التجربة عبر كتابته لهذا الكتاب وهو في الهند وبين أهله، وهو بهذا يحقق أقصى درجة من التعرف على شعب أو أمة ما، عبر الالتقاء بها وجها لوجه، لا القراءة عنها.

ولا شك أن معرفة الآخر معينٌ على الاختلاط بهم لهذا يحدد البيروني أنها "ذخيرة لمن رام مخالطتهم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٥) والمعرفة لا تتم دون الاتصال بهم لهذا يقرر أن "القطيعة تخفي ما تبديه الوصلة" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١٧) لذلك فقد سافر إليهم البيروني وكتب أنهم قوم يختلفون عن العرب والمسلمين في اللغة والديانة والرسوم والعادات والتقاليد، وقد أفرد أبواب كتابه في بيان ذلك بالتفصيل وعدّ جزء كبير مما في كتابه قائم على المعاينة.

ثانيا: المعايشة:

لقد لاقى البيروني بعض الصعوبات في معايشة المجتمع الهندي بسبب الحواجز التي يضعها أمام الغريب – خاصة المسلم الذي ارتبط عندهم بالغازي والفاتح–، وتعود هذه الرؤية للآخر عند الهند إلى شيء في طباعهم، من ذلك "أنهم يعتقدون في الأرض أنها أرضهم وفي الناس أنهم جنسهم وفي الملوك أنهم رؤساؤهم وفي الدين أنه حلّتهم وفي العلم أنه ما معهم فيترفّعون ويتبرمون ويعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضن بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيره، على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم، وفي الناس غير سكانها وأن للخلق غيرهم علما حتى أنهم إن حُدِّثوا بعلم أو عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخبر ولم يصدّقوه للآفة المذكورة" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٢٠)، ولهذا يوصيهم البيروني "ولو أنهم سافروا وخالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٢٠).

ورغم الصعوبة، نجد أن المعايشة حاضرة بشكل كبير في كتابه، ويتعجب المرء من القدرة العالية على الاندماج التي حققها البيروني ومكّنته من الولوج إلى داخل المجتمع الهندي وسبر أغواره، إنها بلا شك حصيلة معرفة نفسية بالآخر الهندي وتعامل حضاري قرّب الآخر إليه عوض تنفيره.

لقد كان البيروني يقف مقام المتعايش والمندمج مع الحضارة الهندية والمجتمع الهندي، ومما يزيد العجب أن اتصاله قد بلغ عدة أصعدة هي:

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

- على صعيد العوام فينقل طقوسهم، عاداتهم، معتقداتهم، بل أيضا يحلل نفسية الشخصية الهندية وهذا ينبئ عن حدوث أقصى احتكاك بالمجتمع الهند، فالحديث عن أبعاد الشخصية لمجتمع ما لا ينشأ إلا عن عميق احتكاك به، ومما قاله في هذا الشأن. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٢٠).

– على صعيد الخواص: كان يحتك بأساتذتهم وعلمائهم ومنجميهم، منه ما حكاه عن جلوسه بين يديهم إذ يقول" إني كنت أقف من منجّميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص٢٠).

ثالثا: التفاعل الحضاري

وبعد الملاحظة للمجتمع الهندي، ثم معايشته نضيف هنا عنصر التفاعل، وإلى جانب تفاعل البيروني مع أهل الهند على الأصعدة التي سبق ذكرها، هناك شكلان من التفاعل برزا، وهما الترجمة، والتصحيح.

١– الترجمة:

تمثل الترجمة العملية التي يتم فيها أخذ وعطاء متبادل، وتتيح الفرصة لالتقاء الثقافات والتفاعل بينها، ولها دورها الكبير في تقدم الأمم والحضارات، كما تعمق من العلاقات مع الأمم المتقدمة وتسمح بتقليص الهوة بينها وبين الأمم المتخلفة، لذلك أصبحت الترجمة مقياسا لدرجة تقدم أمة ما، وكلما التقت ثقافة بأخرى تنشط الترجمة وتقوى، وتقرب بين ثقافات العالم وتسهم إسهاما كبيرا في تعزيز التفاعل الحضاري الإنساني العام. (الدجاني، ص٤).

وقد ساهم اتقان البيروني للغات أهل الهند، من ترجمة كتبهم بقدر استطاعته إلى لغة قومه، على رأسها كتابي "سانك" الذي يتحدث عن المبادئ وصفة الموجودات و"بياتنجل" الذي يضم أصول اعتقاداتهم دون فروع الشرائع. (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٦) فقد نقلهما إلى العربية وعاد إليهما كثيرا في تقرير بعض المسائل.

٢– التصحيح:

رغم التزام البيروني المنهج الفيمنولوجي (تعليق الحكم) أمام أحوال الهند وطقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم، إلا أنه في سياق العلوم والمعارف، جاد بما لديه من بضاعة علمية رأى أنها أفضل مما لديهم في جوانب، فتدخل بالنقد والتصويب، فصوب في كتابه معلوماتهم في الكواكب والعلوم والنجوم والفلك وغيرها، وقد قال في هذا

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

الصدد " إني كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم فلما اهتديت قليلا لها أخذت أوقفهم على العلل وأشير إلى شيء من البراهين وألوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا علي متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين " (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١).

ولا ينطلق البيروني في تصويب علوم الهند عن علم ودراية موسوعية فحسب، بل عن فهم لنفسية الآخر توجب عليه التدقيق على صواب وصحة ما لديه، وللتأكد من: هل ما عندهم هو الحق؟ أم أنهم يتوهمون ويعظمونه عن تفضيل عنصري لمجرد أنه لهم؟

وقد برز تصويبه في عدة مواطن مثل الحديث عن الأوزان في النسخة العربية من كتاب "جرك" إذ أثبت فساده كسائر الأشياء المنقولة في أهل زمانه –بحسب بقوله– الذين لا يهتمون بتصحيح نقولاتهم، وأضاف في موطن آخر"وهذا من نتائج التجزيف في الترجمة وخلط الآراء المختلفة من غير معرفة" (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص١١٤) كما صوّب آراءهم في تنصيف البيضة لعدم علمهم بأمور السماء والأرض (البيروني، ١٩٨٣م، مرجع سابق، ص ١٦١).

الخاتمة:

لقد حقق البيروني معرفة عميقة بالآخر الديني الهندي، إلى درجة اعتبرت المستشرقة الألمانية آنا ماري شيميل كتاب البيروني عن الهند أول كتاب موضوعي كتب على الإطلاق عن تاريخ الدين (Ataman, 2005, p2)، الأمر الذي يستدعي السؤال حول المحددات التي ساهمت في تشكيل هذا التصور الموضوعي عند البيروني عن الآخر.

ورغم أن البيروني لم يمتلك عضوية انتماء إلى المجتمع الهندي، إلا أنه استطاع تحقيق أقصى درجات فهم هذا المجتمع، ويطرح عالم الأديان فاخ استشكالا على مبدأ الفهم في الأديان فيقول: هل يكفي لتحقيق الفهم أن تكون عضوا من المجتمع الديني محل الدراسة، يعتبر فاخ أن العضوية في مجتمع ما ليست ضامنا لتحقيق الفهم فيقول: "العضوية في مجتمع ما ليست شرطا لتحقيق الفهم" (بيومي، ص٣٣) ويشترط خمسة شروط إلى جانب العضوية وهي: امتلاك معلومات مكثفة عن الدين المدروس أو الظاهرة المدروسة، معرفة

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN : 2708 - 7883 Online ISSN : 2708 - 7891

العديد من اللغات، إدراك أن الدين يستحوذ على مشاعر وأفكار المتدين، وجود هدف واضح من أجل دراسة الدين، إضافة إلى امتلاك خبرة واسعة بالخصائص الإنسانية.

وتتوافق هذه الشروط التي حددها فاخ، مع المحددات التي خلص إليها هذا البحث والمتمثلة في المحددات النفسية والمحددات العلمية، والمحددات العملية. وكشف البحث عن أن هذه المحددات بأشكالها، كان لها الأثر في تشكل تصور البيروني بشكله الموضوعي الذي جعله رائدا في مجال دراسة الأديان.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط٢، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣م.

ثانيًا: المراجع:

- ابن منظور (١٤١٤هـ)، *لسان العرب*، ط٣، بيروت، لبنان: دار صادر.
- ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- الجرجاني، ع. معجم *التعريفات. تحقيق: محمد صديق المنشاوي*. ٢٥٦، القاهرة، مصر: دار الفضيلة.
- الجندي، محمد، صورة الآخر في كتابات علماء المسلمين، جامعة تونس– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٧م.
- الدجاني، *مساهمة الترجمة في حوار الحضارات: أمثلة من الحضارة العربية الإسلامية عبر العصور*. مجلة فكر وإبداع، العدد ٥٢ (٢)، ٢٠٠٩، رابطة الأدب الحديث في مصر.
- الساداتي، *بحث تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة*، مجلة تراث الإنسانية، ع٢، ١٩٦٥، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر.

- لويس معلوف (٢٠٠٥)، *المنجد في اللغة والإعلام*، ط٤، بيروت، لبنان: دار المشرق والمكتبة الشرقية.
- مجموعة مؤلفون (١٩٨٦). الموسوعة الفلسفية العربية. تحرير: معن زيادة وآخرون. ط ١، معهد الإنماء العربي.
- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٩م.
- مبارك، علي، إسهامات المسلمين العلمية في دراسة الأديان والحضارات، أبو الريحان البيروني نموذجا، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٢، العدد ٢ ، ٢٠١٥.
- Hadi, MD Ahsanul. BIRUNI'S CONTRIBUTION TO THE COMPARATIVE STUDY OF RELIGIONVFAST Transactions on Islamic Research. http://vfast.org/index.php/VTIR@ 2013 ISSN-2309-6519 Volume 6, Number 1, January-February, 2015.
- Kemal Ataman (2005) Re-reading al-birūnī's India: a case for intercultural understanding, Islam and Christian–Muslim Relations, 16:2, 141-154, DOI:10.1080/09596410500059623.
- Nurhanisah Senin, Fadila Grine, Wan Adli Wan Ramli, Khadijah Mohd Khambali @ Hambali, Siti Fairuz Ramlan, (2019) "Understanding the 'other': the case of Al-Biruni (973-1048 AD)", International Journal of Ethics and Systems, https://doi.org/10.1108/IJOES-01-2018-0010